بسم الله الرحمن الرحيم

الكلف الرئيسي

د . ابراهيم بدران

فى المؤتمر الدولى الثانى عن

" إتفاقية منظمة التجارة العالمية "

١٩ / ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٩٩

مقدمـــة عن الموقف العالمى بعد الحرب العالمية الثانية والمنتهى إلى

" إتفاقية منظمة التجارة العالمية "

مقدمـــــــة عامـــــة :

لقد كانت الحرب العالمية الثانية وما احدثت من دمار وخسائر بشرية تزيد عن ٥٠ مليون فرد نتاج التقدم العلمى والتطور التكنولوجى . ومـــا أفـــرزه مـــن وسائل الدمار والقتل الشامل ما جعل قادة العالم التوجه لبحث كيفية الحفاظ علـــى مستقبل الأرض .

وهنا سأحاول أن أرصد وأستعرض متغيرات حدثت منذ نهايـــة الحـــرب العالمية الثانية وتحليل الواقع أملاً فى الوصول إلى شرعية دولية تحكـــم مســـتقبل البشرية ــ نسردها بإيجاز فى عشر نقـــاط :

١ ــ النظام العالمى الجديد المنتهى إلى أحادية القطبية .

٢ ــ ظهور التكتلات التكنواقتصادية العالمية ــ محاولة لتخفيف فاعليـــة القطـــب الأوحد .

٣ ــ بروز ظاهرة العولمه نتاج تفوق وسائل الإتصال والمواصلات وزيادة حجـــم التجارة الدولية والتزايد فى أعداد السياحة العالمية عبر الحدود إلـــى أرقـــام تتعدى المليار فى أوائل القرن القادم .

٤ ــ الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والإهتمام بحقوق الفرد والمجموع من حرية وديمقراطية وعدل واختلال الموازين المحلية والعالمية وظـــهور العقوبـــات الجموعية للشعوب ، قضية تتحكم فيها مصالح سياسية واقتصادية

٥ ــ إختلاط الحضارات والثقافات نتاج العولمه ــ مع الدعوة لتقـــارب الأديـــان وظهور ملامح التوجه إلى تعصب أوتنازل لبعض العقائد السائدة . كل ذلـــك مع إنحسار الخصائص الذاتية وشحوب الهويات وتقارب اللغات خاصة لغات التخاطب التكنولوجى من خلال لغات الكومبيوتر .

٦ ــ عالمية المعلومات وترابط التعليم والمعلومات والاعلام وفاعليـــــة الاخير واختلاطه مع الاعلان فى توجيه وتحويل اهتمامات الناس ومستهلكاتها وحتى عقائدها وطباعها .

٧ ــ الدعوة لعالمية التعليم الموجه لحضارة السلام ــ صرخة أطلقـــها اليونســكو منذ سنة ١٩٧٤ بأمل توحيد البرامج والاساليب والتوجهات التعليمية قضيـــة تتباطأ وتتحول إلى دعوة غير واضحة الأبعاد لم يظهر تأثيرها بعد .

٨ ــ الدعوة للصحة للجميع قبل سنة ٢٠٠٠ من خلال إعـــلان الهيئـــة الصحيـــة العالمية فى الما آتا سنة ١٩٧٧ ورغم ذلك فأن العالم يرزح تحت تأثير ٢٥٠ معركة صغيرة وضحايا أكثر من ١٠٠ مليون إضافة إلـــى إعاقـــة للبشـــر وللتنمية وظهور أمراض مستحدثة مثل الايدز والايبولا وفيروســـات الكبـــد المتجددة .

٩ ــ تحرير التجارة العالمية (تحت مسمى الجات الذى انتهى إلى إنشاء منظمـــة التجارة العالمية) .

١٠ ــ التطور الانقلابى فى مفاهيم الملكية الفكرية والصناعية والحقوق المترتبـــة عليها لحفظ حقوق القادر والمتفوق والمبتكر (إتفاقية التربس) .

وهذان الأخيران هما محور الحديث اليوم فى قضيـــة التنافســـية الحاكمـــة والتقدم . والناتجة عن إتفاقية إنشاء منظمة التجارة العالمية وهى التعبير التشريعى لتوجهات الاقتصاد العالمى المعاصر . هذه الاتفاقية تجاوزت كـــل مـــا عرفتـــه الإنسانية فى تاريخها من حدود بين الدول وتمايز ثقافى بين المجتمعات . ومنـــها

أصبح للاعتبارات المادية التى تحدد ملامح وقوة الاقتصـــاد وتحكـــم أداؤه حتـــى أصبح هو المعيار فى تحديد أدوار المجتمعات فى مجمل الانتاج العالمى .

ونقول هنا أن الأداء التكنولوجى هو الدافع للأداء الاقتصادى وهو فى نفس الوقت ربيب للأداء العالمى وكفاءة منظومة البحث العلمـــى وكلـــها مدينـــه فـــى وجودها لمنظومة التعليم والتنمية البشرية .

الآمـــــــال :

ومنذ نشأة النظام العالمى الجديد تصور العالم ، خاصة النـــامى حـــدوث تغيرات وآمال إيجابية حيث تمركزت الآمال فى :

١ ــ محاصرة الانفجار السكانى .
٢ ــ مكافحة الجوع والفقر والمرض .
٣ ــ تنمية المصادر عامة والبشرية خاصة .
٤ ــ توجيه المصادر الطبيعية وغيرها لمصلحة المجتمعـــات وتوجيـــه العوائـــد لمصلحة المُلاّك .
٥ ــ توفير ضمانات حقوق الانسان فى الديمقراطية والحرية والعدل .
٦ ــ تنمية القدرات التنافسية عند المنتجين عامه مـــن خـــلال التعليـــم المجـــود والتدريب والابتكار .
٧ ــ حماية البيئة الكونية والعمل على تخفيف آثار الكوارث والاحداث (انتـــهت إلى اجندة القرن ٢١) .
٨ ــ تخفيف آثار ومخلفات اجتياح المبادىء الشمولية لنصف الكرة الشرقى لمـــدة أكثر من خمسين عاما ذلك بتحرير التجارة ورأس المال والانفتاح بين الـــدول وتنمية النشاط المدنى وخصخصة الانتاج والخدمات .
٩ ــ تطوير دور الدولة والسيادة من التحكم والسيطرة إلـــى الحمايـــة والرقابـــة والتيسير .
١٠ ــ خفض الانفاق على التسليح بعد إنتهاء الحرب البـــاردة وتوجيـــه الفـــائض للتعاون الدولى ورعاية الفقير .

النتائـــــج :

١ ــ لم ينجح النظام العالمى الجديد فى تحقيق العدالـــة الاجتماعيـــة والاســـتقرار والعدل السياسى .

٢ ــ بدأت على الساحة ظاهرة قهر الشعوب والتحيز الواضح بيـــن الـــدول فـــى التعاملات .

٣ ــ زادت حدة الفقر وانتشرت الصراعات بين المتخلفين حيث ظهرت الحـــروب بين القبائل فى العالم النامى وانتشرت ظاهرة الارتـــزاق مـــن الفســـاد بيـــن القادرين .

٤ ــ انتهت زيادة سرعة التقدم التكنولوجى إلى تفاقم ظاهرة البطالـــة وتخفيـــض العمالة نتاج الميكنة الالكترونية ، مما أضاف إلى الفقر الجموعـــى والقلـــق الاجتماعى .

٥ ــ زادت حدة التهميش للمرجعية الدينية والسلوكية بسبب الانبـــهار بمنظومـــة الحداثة الغربية ونشر صور مبهرة تبرز وسائل الجريمة المنظمة والانحـــراف الحنسى والسلوكى من خلال الاعلام الاثيرى المبرمج .

٦ ــ ظهرت فى هذه المرحلة ظواهر إجتماعية . . أهمها تغير دور الدولة إلـــى دور إرشادى وقائى رقابى و إتسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء وظـــهرت مخاطر تعايش الجوع والجشع ، إزدادت الحاجة إلى إيجاد شـــبكات للأمـــان والضمان الاجتماعى فى صورة معاشات للبطالة والتوجه لإعـــادة التـــأهيل وحفز الاجتهاد الفردى بمعونة الصناديق الاجتماعية ، كل ذلك لضبط الايقـــاع الاجتماعى الحادث نتيجة للمتغيرات التكنوإقتصادية وتأثيرها على مقـــدرات الشباب الخاصة .

التنافسية الحاكمة للتقـــدم :

إن التنافسية هى أبرز القواسم المشتركة فى كل من التكتلات الاقتصاديـــة والتحالفات الاستراتيجية التى أشرنا إليها ، بل هى الغاية المطلوبة فى الحـــالتين ،

فمن أجل التنافسية تبنى التكتلات ، وتعقد التحالفات . وهى فى كل الأحوال تنافسية تنمو فى رحم توليد المعارف العلمية والتكنولوجية المبتكرة التى تفرز سلع وخدمات العصر التى نشهد منها جيلا وراء جيل من روائع صنع العقل البشرى ، وتخلق لأصحابها مكانات احتكارية ومكاسب مادية تستمر إلى أن يحل مكانها ما هو أحسن وأصلح من سلع وخدمات . وهكذا تتسارع منجزات الحضارة المادية للإنسان بإضافات تلو إضافات ، كل ذلك من أجل التنافسية وتكريس أسبابها ونتائجها ، ومن أجل حمايتها كانت الشرعية الدولية ، التى تذهب بعض الظنون فى بواعثها ومترتباتها كل مذهب لحماية تضخم الثروات والأموال .

ونشير هنا على وجه الخصوص إلى واحدة من الاتفاقيات التى تتكون منها الشرعية الجديدة ، وهى اتفاقية التجارة المرتبطة بحقوق الملكية الفكرية ، والمعروفة إختصاراً باسم اتفاقية **TRIPS** ، حيث أصبحت مصر عضوا مشاركا فيها ، وبات واجبا أن تطور تشريعاتها على النحو الذى يترجمها ويتوافق مع أحكامها ، ولهذه الاتفاقية أهمية خاصة . ذلك لأن الملكية الفكرية تشمل الملكية الصناعية التى تحكمها براءات الاختراع ، والاختراع هو الثمرة الأخيرة لجهود العلم والتكنولوجيا التى تولد فى مؤسسة البحث والتطوير ، وهو الثمرة التى تتضح قيمتها العلمية بين السلع والخدمات ذات المردود الاقتصادى ، فتكون حمايتها أمراً مطلوبا حى تحفظ لها مكانتها فى السوق لدى من يشتريها أو يستغلها فى الانتاج التجارى . وهى حماية تسبغ على مالك الاختراع مزايا ومكاسب اتسع نطاقها كثيرا ، كذ ذلك فى ظل الاتفاقية التى نخاطب موضوعها الآن .

وجدير بالذكر أن هذه الاتفاقية التى وافقت مصر عليها منذ ١٩٩٤ تؤثر فى عديد من الانشطة القومية ، ومنها تأثيرات تفرضها الشرعية الدولية الجديدة (من حقوق وواجبات) ولا حيلة لنا فى قبولها ، ومن تأثيراتها ما يقع فى باب ردود الأفعال الواجبة لدى المؤسسات التى تتأهل للتعايش مع الشرعية ، ولهذا فإن دعوانا الصريحة هى أن الشرعية الجديدة (ومن بينها اتفاقية **TRIPS**) ليست بالضرورة كلها شرا

مستطيرا كما تذهب بعض الرؤى ، لأنها تخاطب أهل القدرة ، وتكاد تستبعد من الخطاب أهل العجز والتخلف . . أو ليست القدرة والاستماتة من أجل اكتسابها هى قضية ورسالة المرحلة الحالية ؟ . . " أو ليس المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ؟ " ، ونراها بالتالى شرعية دولية جديدة تدعو للمشاركة فى التنافسية العالمية هى ظاهرة العصر .

وتتيح الاتفاقية لنا ــ عند قراءتها ــ أن نطلع على فرص بالغة الأهمية تستحق التعرف عليها واقتناصها ، وعلى تحديات بالغة الخطر تستحق التعرف عليها لمواجهتها ، وفى كل الأحوال ، وبلغة الطب ، فهى تقدم الفرص والتديات التى تبعث فى أجسام الأحياء (وذوى التنبه) تأثير الادرينالين ، وهو هرمون أودعه الله فى جسم الإنسان (والحيوان) وينبعث وقت الخطر والشدة حتى تكون الاستجابة هى استجابة النجدة والنجاة ، وتكون ردود الأفعال فى مستوى الأفعال .

وهذه الاستجابة التى نقصدها ، تتلخص فى أفعال مؤكدة التصميم بدءاً من التنمية البشرية ، دقيقة الهندسة خاصة ، للتوجه نحو سبل الانتاج المنافس ، ويجرى تنفيذها بدءاً من المدرسة فى مراحلها كلها ، وليس انتهاء بالتعليم الجامعى ، لكن من خلال المناهج التى تؤهل المواطن الجديد ليتحدث لغة العصر ، وليكون عضواً فاعلا فى آلية المجتمع التى تتعامل مع الفرص والتحديات التى أشرنا إليها ، ذلك واحد من العناصر الأساسية التى تخاطبها المقالة التى نتبناها فى قضية التنمية للبشر وبالبشر وتأثيرها منذ عدة سنوات .